

# مصر وسوريا

---

بحث سياسي انتقادي في  
تاريخ العلاقات بينهما قديماً وحديثاً

بقلم

يوسف صبيح

هديّة

من المؤلف

( إلى أدباء المصريين والسوريين )

---

مصر - أبريل « نيسان » سنة ١٩٦٢

## مصر وسوريه

« تاريخ الملائق السياسية بينهما قديماً وحديثاً » -

### عصر الرعاة في مصر

ان اتصال القطرين المصري والسوري احدهما بالآخر يرتقي الى زمن عريق في القدم وكان الرعاة المعروفين عند المصريين باسم هيكتوسوس (١) اول حلقة من سلسلة هذا الاتصال ذلك انه بعد انقضاء زمن غزوات الميلامين في سوريا واستتاب الامر للممالك الآرامية والكنعانية في ارجائها قام بين القرنين الحادي والعشرين والعشرين قبل الميلاد ثلاثة او اربعة دول من الملوك المنتسبين الى السلالات الفينيكية وهي الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة « ومن العلماء من اقتصروا على ذكر الدول الثلاث الاخيرة » فاجتاحوا مصر السفلى واسسوا هناك دولة قوية

---

(١) لفظة هيكتوسوس وثلاثة من هيكت اي ملك وشاسو او

سوس بالمبرانية اي رعاة او ساس باللغة المصرية اي خيل لان الرعاة اول من ادخل الخيل والمركبات الي مصر وقبل انهم عبرانيون وقال ماريات باشا في كتابه تاريخ مصر القديم انهم اخلاط من البدو

استمرت ردحاً طويلاً من الدهر يتراوح بين ٥١١ سنة في  
اعتبار يوسيفوس وبين ٥١٨ سنة في اعتبار غيره من المؤرخين  
وقبل غير ذلك

وقد كانت غزوة الرياة لمصر نتيجة طبيعية للاتقارب  
الذي أحدثته في الملم القديم فتوحات الشعوب الآسيوية ولا  
سيما الميلاميين الذين ضايقوا الكنعانيين وسدّوا عليهم منافذ  
الرزق ففرت بعض قبائل منهم من وجه الغزاة وما زالت  
تنتقل من مرحلة إلى أخرى في طلب الفتح والاستثمار حتى  
انصلت إلى مصر وغشت أرض الدلتا واستولت عليها. وقد  
استغرق تنقلها هذا منذ هجرت مواطنها الأصلية إلى أن

---

المتنقلين من بلاد العربية وسوريا ولكن معظمهم من الكنعانيين  
والرأي الأرجح فيهم أنهم من قبائل سامية وكنعانية جاءوا من أرض  
كنعان وسوريا وبلاد العربية واجتازوا فلسطين إلى مصر والأمة  
الحثية هي التي تولت قيادتهم وجمعيتهم في عهدة واحدة وغرض واحد  
فانضوا تحت رايها وقد وجدوا في هيكل سمنه « تلميس » صحيفة  
قديمة عليها رسوم ترمز إلى ذلك ووجدوا صحيفة أخرى في جهة قرنة  
من أعمال مصر استدلوا من رسومها على أن الحثيين هم الذين قادوا  
الغزاة في غزوتهم لمصر السفلى . وهذا ما يجلو لنا سر حصر الفراعنة  
أعمالهم الحربية في شالي سوريا إذلالاً للحثيين وانقاصاً منهم

حلت في وادي النيل ردمًا طويلاً من الدهر يتعذر تقديره  
وقد ذهب احد المؤلفين من قدماء المصريين الى ان  
الرعاة ارتكبوا في غزوتهم هذه لمصر كثيراً من المظالم كسبي  
النساء والاطفال ودك الهياكل وحرق المدن ونحو ذلك غير  
ان الرأي الممول عليه انهم ابقوا على الهياكل والآثار ولم  
ينقضوا ويحرقوا الا ما قضت عليهم ضرورة الفتح بنقضه  
وحرقة من المدن والحصون مما كان يتعذر عليهم فتح البلاد  
من دونه بدليل انهم عثروا في بعض مدن مصر كتانيس  
بقرب دمياط وبوبست « تل البسطة » بقرب الزقازيق  
بتمائل وآثار ملوك تقدموا عهد الرعاة ولم يعث هؤلاء بها  
بل اذخروها كأثار ذات قيمة تاريخية كبيرة

وقد شيدوا في مصر السفلى كثيراً من المدن كأفاري  
« مدينة المهاجرين او الهارين » شرقي السويس وكانت  
حصينة جداً ومدينتي تانيس وبوبست اللتين كانتا عاصمتي  
ملكهم واقاموا ابنية نفيسة لم تزل آثارها شاخصة الى اليوم  
وتقشوا اخبارهم واسماءهم على هذه الابنية وعلى الآثار المصرية

وفيما كان الرعاة منصرفين الى تعزيز دولتهم في مصر  
 السفلى كان ملوك الصعيد الوطنيين في تاب « طيبة » عاصمتهم  
 في بدء تنظيمهم وما زالوا يجاهدون في تقوية مركزهم الى ان  
 آتسوا من انفسهم القوة فهبوا لمناهضة الرعاة ووقعت الحرب  
 بين الدولتين وطال امدها ولا سيما الحرب الاخيرة التي  
 استمرت اكثر من قرن واوهت قوى الرعاة وكانت  
 اسبابها دينية ذلك ان ابابي ملك الرعاة بعث يدعو ساكن  
 ائده ملك طيبة الى عبادة شات او « شتخ » اله آباؤه الرعاة  
 فاني فنشبت الحرب وظلت سجالات بين الدولتين الى ان قام  
 من دولة الوطنيين احس الاول مؤسس الدولة الثامنة عشرة  
 من دول الفراعنة وكان الضعف تطرق الى دوله الرعاة  
 فخاربههم وحاصر آفارى عاصمتهم باربعمائة وثمانين الف مقاتل  
 ولما عجز عن فتحها صالحهم بعد ان اشترط عليهم الجلاء عن  
 مصر آمنين فخرجوا منها في بدء القرن السابع عشر قبل الميلاد  
 الى اليهودية واستقروا هناك ولم يستطيعوا التقدم الى الامام  
 لان الاشوريين كانوا قد بسطوا سلطتهم على الاصقاع السورية

وظل قوم منهم في مصر الشرقية يحرثون الارض ولا سيما  
 في القرى الواقعة حول بحيرة المنزلة . وبخروج الرعاة من مصر  
 رسخت سلطة الفراعنة في سائر البلاد المصرية .  
 وفي عصر الرعاة انشأ الفينيقيون في مصر السفلى كثيراً  
 من المستعمرات التجارية وكانوا يأتون اليها بمصنوعاتهم  
 وسلمهم ويحملون تجارة مصر على سفنهم الى الاقطار الاسيوية  
 وامتدت متاجرهم على طول السواحل الافريقية المقابلة  
 للساحل الاوربي من اطراف مصر شرقاً الى جبل طارق  
 غرباً .

وباتصال الفينيقيين بالمصريين في عصر الرعاة اتصل  
 نفوذ فينيقية الى مصر قبل ان يتصل نفوذ مصر الى فينيقية  
 فيما يتعلق بالصنائع والدين والآداب .

وفي ايام الرعاة هجر يعقوب حفيد ابراهيم الخليل  
 حبرون في ارض الخليل مع عشيرته وقصد الى مصر حيث  
 انضم الى ابنه يوسف كبير وزراء ابني آخر ملوك الرعاة  
 واشهرهم وكان ابا للشعب الاسرائيلي الذي اقام في مصر  
 اربعة قرون .

عصر الفراعنة في سوريا

لما اشتد ساعد المصريين واستتب لهم الامر في بلادهم  
تطلت لغزاتهم الى التوسع في الملك وكانوا قد تاقنوا الفتح  
من غزاتهم الرعاة وهم يترصدونهم ليثأروا لانفسهم منهم  
باكتساح بلادهم والانتفاع بثمار الفتح وكانت سوريا في ذلك  
الحين مضاراً يتباري فيه ملوك ما بين النهرين ويتنافسون  
في اعزاز السيادة على ممالكها بعد ان كانت هذه الممالك  
امنت شرهم ودحماً من الزمن وانصرفت الى تعزيز مركزها  
التجاري والصناعي فكان هذا التنازع مدعاة لاستيقاظ الدولة  
المصرية ونهوضها لمسابقة الممالك الشرقية ونخصه شركة بابل  
وبسط نفوذها على هاتيك الامتقاع . فاشهرت على آسيا  
سرباً عواناً وكان للفراعنة من استمرار التنافس والتنافس بين  
ممالك سوريا الصغيرة وتسابقها الى استنجادهم باب للتدخل  
في شؤون هذه الممالك تضاهراً منهم بالتوفيق فيما بينها او برد  
غارات غزاة المشرق عنها وهو نفس السبب الذي تدرع  
به الرومان بعد ذلك بقرون طويلة للتدخل في شؤون الممالك  
الشرقية والتدرج من ذلك الى التسلط عليها . وهكذا ثبتت

الدولة المصرية على مناوأة سوريا ومنازعة الممالك الشرقية  
السيادة فيها خمسة قرون كاملة من القرن السابع عشر الى  
اواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد حيث ابتداء عصر  
الاستقلال الوطني في سورية .

غير ان الفاتحين المصريين على اختلاف دولهم قاسوا  
الشدة في اخضاع ملوك سوريا ولا سيما ان اولئك الملوك لم  
يكونوا يثبتون على ولائهم لما كانوا عليه من النزوع الفطري  
الى الاستقلال . فمما كانوا يفرغون من اخضاع مملكة حتى  
تنهض مملكة اخرى وتجاهر بالعصيان وهكذا فان من هؤلاء  
الفاتحين من افنوا سني ملكهم في مقاتلة العصاة في سورية  
ورد الممالك الكنعانية الى طاعة مصر كطوطمس الثالث  
وساتي الاول ورعمسيس الثاني ورعمسيس الثالث . وقد تتبع  
اولئك الفاتحين في غزواتهم طريقاً واحداً فكانوا يجتازون بلاد  
كنعان الاصلية الى مدينة مجدو - وكانت من احصن مدن  
سورية ومن هناك كانوا يجتازون الوهاد فوق بحيرة طبرية  
في جهة قدس « بحيرة الحولة » ومنابع الاردن عند مدينة  
لايش ثم يسرون في المضائق عند سفح حرمون الغربي

ولبنان الشرقى ثم يمرّون على وادي الليطاني الذي كان اذ  
 ذاك بحيرة كبيرة ثم على بعلبك فوادي العاصي الى ان يصلوا  
 الى قدس الكبيرة وهي حصن وجماعة ثم يدخولون في البادية  
 ساثرين الى قرقيسياه وهناك يعبرون الفرات الى الجزيرة  
 الفراتية . ولم يدوا من صيدون والمدن الساحلية والفينيقية  
 لانها كانت مخالفة لهم

وكان الفراعنة في غزواتهم يكتفون بسط سيادتهم  
 العليا على البلاد التي يفتحونها في الديار السورية والاسيوية  
 لمعجزهم عن اخضاعها تماما ولعدم وثوقهم من ثباتها على ولائهم  
 وقتا طويلا فيفرضون عليها خراجا سنويا ويجندون جماعة  
 من اهلها ويربون في مصر خلفاء ملوكها وما كانوا يأخذون  
 منها من الرهائن و يقيمون في مدنها من الحاميات المصرية  
 انما كان ذريعة لتقرير نفوذهم فيها بحيث تصبح البلاد التي  
 تكون دانت لهم ولا وسيلة لها لانكار سيادتهم عليها وممالة  
 عدائهم . وكانت حكومة البلاد الخاضعة لمصر اشبه شيء  
 بحكومة الاقطاعات لها الاستقلال التام في داخلها ويتولاها  
 حاكم من اهلها يلقب بملك وكانت الفراعنة يحافظون على

شرائعها الوطنية ويحترمون عادات أهلها وتقاليدهم ودياناتهم  
 فلا يتمرضون لهم في شيء من ذلك - كما يفعل اليوم أكثر  
 الدول الاستعمارية الكبرى كإنكلترا وفرنسا - ويطلقون  
 لها الحرية في مسألتهم بعد أن يفرضوا عليها جزية سنوية أو  
 إبرام معاهدة معهم يتبادل الفريقان بمقتضاها المنافع السياسية  
 والتجارية .

#### حلقة مصر وفينيقية

وقد أثبت المؤرخون أنه كان بين مصر وفينيقية  
 معاهدة تقضي على الفريقين بالتآزر والتضافر في الملتمات  
 والخطوب فكانت صيدون عاصمة فينيقية لا تمرض قط  
 للفراعة في غزواتهم المتعددة للبلاد الآسيوية ولما كان  
 المصريون يمافون ركوب البحر وإنشاء الأساطيل  
 كالأشوريين والفرس كانوا إذا احتاجوا إلى نقل عساكرهم  
 من جهة إلى أخرى استعانوا بسفائن الفينيقيين وهكذا فإن  
 أسطول صيدا كان رهن أشارتهم ينجدهم في غزواتهم  
 ويسير بجندهم لجباية الجزية من الجزر والاقطار البحرية ولها  
 في مقابل ذلك تميز الأسطول بالجنه المصري وغيره . وقد

اقام الصيديونيون على مسالة الفراعنة ومخالفتهم حقبة طويلة  
فسالموا الدولة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والمشرين ولا  
سيما في عهد طوطمس الثالث الذي انشأ عمارة بحرية عهد  
اليهم بقيادتها وخدمتها وهكذا في ولاية رعمسيس الاول  
مؤسس الدولة التاسعة عشرة وابنه ساتي الاول ورعمسيس  
الثاني. وقد استمرت الصلات الحسنة مستحكمة الحلقات بين  
صيديون ومصر حتى الى عهد الدولة السادسة والمشرين فان  
هذه الدولة استخدمت الصيديونيين في عماراتها لانها وجدتهم  
ابرع اهل زمانهم في فن الملاحة ولذلك لم يمرض اولئك الفزاة  
بسوء لصيديون وهكذا لجليل وبيروت اللتين حدثا حذوها في  
مسالمتهم خلافاً لبقية الكنعانيين فانهم شايعوا اعداء مصر  
من اشوريين وكلدان ونصروهم عليها

والنتيجة ان خضوع فينيقية لمصر لم يكن الا لتبادل  
المنفعة على ان يكون ملوك فينيقية سائدين في قومهم مستقلين  
في شؤونهم بمقتضى شر المههم الخصوصية ولكنهم يعترفون  
بالسيادة المصرية ويؤدون للفراعنة الجزية وينجدونهم باساطيلهم  
وهذا التحالف بين مصر والممالك الفينيقية لمن اكبر الادلة

على ان هذه الممالك كانت على ضيق مساحتها عزيزة الجانب  
وكان شأنها مع مصر شأن النظير مع نظيره  
حروب الفراعنة في سوريا

واهم الحروب التي اصبحت الفراعنة نارها في سوريا كانت  
مع الروتن وهم مزيج من اللوديين والآراميين ومع الحثيين  
الشماليين وهم الذين قادوا عشائر الرعاة في غزوتهم لمصر لما  
يستفاد من اقوال العلماء في تاريخ اولئك الغزاة . واول من  
حاربهم من الفاتحين المصريين طوطمس الاول الذي اقام على  
الفرات نصباً نقش عليه خبر فتحه لبلاد الحثيين وطوطمس  
الثالث الذي افتتح من الممالك السورية ١١٩ مدينة نقشت  
اسماؤها على احد جدران الكرنك في الاقصر وطوطمس  
الرابع وقد نقش خبر حملته عليهم على حجر وجدوه في هيكل  
امون في طيبة عاصمة الفراعنة . ثم قام رعمسيس الاول وهم  
باخضاعهم ولما عجز عن خضد شوكتهم حالفهم واراد عن  
بلادهم وكان ملوك مصر الى ذلك الحين يترفعون عن مخالفة  
ملوك سوريا فيما خلا صيدون على نحو ما قدمنا فاذا رأوا  
ما رأوا من بطش الحثيين وقوتهم اضطروا لمخالفتهم

مخالفة الند لنده كما جرى لهم مع الصيدونيين . ولما انفضى  
تاج مصر الى ساتي الاول عاد الحثيون الى مناوأة مصر  
فزحف عليهم وفتح قادش « قدس » عاصمتهم ثم حالف  
ملكهم موتار وما لبث هذا ان عاد الى مضايقة المصريين  
وقطع عليهم طريق حلب والفرات بحيث باتت املاكهم  
محصورة في فلسطين وما جاورها من بلاد آراميين والفينيقيين  
وقد نقش اخبار غزواته لبلاد الشام في هيكل امون في  
الكرناك وفي جملة آثار هذه الغزوات صورة تمثل اهل  
لامنوز « اعالي لبنان » يقطعون اخشاب الارز والسرو  
لابنية الظافر وصورة اخرى تمثل مدينة قادش يحاصرها  
المصريون . ثم قام عمسيس الثاني المعروف باسم سينوستريس  
وهو الذي نقش صورته في صخر على شاطئ نهر الكلب  
بقرب بيروت تذكراً لغزوته تلك الجهة فخارب الحثيين  
فكسروه ثم استظهر عليهم في وقعة عقد الماصي نقش خبرها  
في هيكل الكرنك وقد استمرت الحرب بينه وبينهم اربعة  
عشر سنة ولم تخمد جذوتها الا بمقتل ملكهم موتار غيلة في  
احدى المارك خلفه اخوه كيتاسار وابرم عهدة مع المصريين

نقشت على جدار في هيكل الكرنك وقد تماهد فيها الملكان  
على التضافر واعتبار الشميين المصري والحثي متساويين في جميع  
الحقوق والمرافق وحافظ المصريون والحثيون على هذه الهدية  
سحابة قرن كامل . وتزوج رعمسيس بابنة كيتاسار وزاره هذا  
في مصر واقام في مدينة طيبة حيث التقى المتحالفان نصب نقشت  
عليه صورتها في وسطها زوجة رعمسيس الحثية . ومن ذلك الحين  
توطدت العلاقات بين الشعبين المصري والسوري واخذ  
المصريون يستعملون في لغتهم الفاظاً من فروع اللغة السريانية  
وانقلت عبادة كثير من الآلهة السورية الفينيقية الى مصر  
ولا سيما عبادة بعل وعشروت

### الفتح الاسرائيلي

وعقب عصر الفراعنة في سورية واسيه فتح الاسرائيليين  
لارض الميعاد وطن آباؤهم . خرجوا من مصر في ولاية  
منفتح بن رعمسيس الثاني بمدان اقاموا فيها نيفاً واربعة قرون  
واقترحوا ممالك الكنعانيين واستقروا في فلسطين وقد ذهب  
المؤرخون في تحليل احجام المصريين عن نجدة محالقيهم  
الصيدونيين مذاهب شتى لاسبيل لايرادها هنا والحقيقة ان

مصر وان تكن لم تعد ارض الصيدونيين في جملة املاكها  
لعدم تمكنها من اخضاعها تماماً لسلطانها الى وقت طويل  
فانها عاهدتها على تمضيدها في ابان الشدائد كما قدمنا ولئن  
كانت لم تجدها في الفتح الاسرائيلي فلأنها اشفتت من  
ان ينالها اذى في ترضها لبني اسرائيل في ارض المياد وهم  
لم يخرجوا منها الا بعد ان انزلوا بها البلاء الاعظم فرأى الفراغنة  
انهم في غنى عن تجشم المصاعب في الذود عن ارض كنعان سيما  
وان الفاتحين لم يتخطوا حدود مملكة صيدون حليفة مصر ولم  
يتجاوزوا الاردن الى الدائن الفينيقية التي والت المصريين  
فوقف الفراغنة يرقبون حركات المتحاربين عن بعد وشاقهم  
ان يروا حليفهم صيدون وما جاورها من المدن الساحلية  
والفينيقية ممتعة على الغزاة غير مفتقرة الى عضد او معونة

توتر العلاقات بين مصر وفينيقية

وما زال الود مستحكما للحلقات بين مصر وسورية الى  
ان سقطت صيدون وافضت السيادة السياسية الى صور في  
بدء القرن الثالث عشر قبل الميلاد فهاج مجد صور مطامع  
الفراعنة واخذوا يتحينون الفرص لخضد شوكتها وظلوا

يترصدونها الى ان جلس على عرشها عبد عشتاروت في القرن  
 العاشر فاغرى فرعون شيشق ابناء مرضمه الاربعة بقتله  
 اضفاناً له ان النيبتيين بالانقسام الساخني الذي تاور مادة  
 مثل هذا الانقلاب السياسي واتخذ فرعون من جهة اخرى  
 يربعم الافرائيمي الذي التجأ اليه يوم فر من وجه سليمان  
 لايقاع الشقاق بين الاسرائيليين وقد نجحت حيلته في الامر  
 وغزا فلسطين وافتتح اورشليم وانشقت مملكة اسرائيل الى  
 شطرين مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل وكانت بين المملكتين  
 حروب طاحنة الفتت انظار الفاتحين من ملوك دمشق وفرعنه  
 مصر وملوك اشور وبابل وافضى الامر اخيراً الى وقوع  
 مملكة اسرائيل تحت نير الاشوريين ومملكة يهوذا تحت نير  
 الكلدان .

واما صور فبعد مقتل عبد عشتاروت وجاوس ابن  
 مرضمه على العرش نشبت فيها نار الفتن الاهلية فاوهنت  
 قواها وشلت المنازعات اعصابها ولم تسترجع ما كان لها من  
 المجد السالف الا في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد حيث  
 جلس بيكاميون على العرش وفرت اخته ديدون مع اشراف

المملكة الى افريقية وشيدت هناك قرطاجنة وبفراها تأيد  
النظام الجديد في صبور واصبحت الكلمة النافذة للشعب  
العصر الاشوري :

وتوالت على سورية وفلسطين حوادث كثيرة وقف  
المصريون ازاءها وقفة المتفرج المحاذر لان اشور كانت  
تسلطت على هاتيك البلاد وخضدت شوكة مصر واوقفتها  
عن المسير الى الامام وقد ارجعت اشور العالم القديم بالمظالم  
التي ارتكبتها في اغلبها على الشعوب الاسيوية ونسج ما وكها على  
سنوال واحد في التمتع بشقاء هذه الشعوب فلم يكن يسع  
المصريون التظاهر بمدأها بل كانوا يكيدون لها المكائد في  
الديار السورية تحت طي الحفاء حتى اذا نجحت حيلتهم في  
اثارة السوريين عليها هبوا لمقاسمتهم الغنيمة والا اخلدوا الى  
السكون وتلاهوا بشؤونهم الداخلية وحموا من التجأ اليهم  
من ملوك فلسطين اثر غزوات الاشوريين لبلادهم .  
وكان القينقيون يضطرون احياناً للملااة اشور على  
المصريين اشفاقاً من شرها وهكذا لما فرغ أسر حدود ثالث  
ابناء سنجاريب من اخضاع سورية اجتاح مصر واخضعها

وهزم ملكها ترهاقة من الدولة الحبشية وكان في جملة المقاتلين في صفوفه قوم من السوريين وهكذا ابنه اشور بانيسبال الذي كان في منتصف القرن السابع فانه لما غزا مصر وطرده الاحباش منها مدّه ملوك فينيقية وسورية برجالهم  
عصر الكلدان :

ولما انقضت دولة اشور قامت على انقاضها دولتا مادي وبابل واقتسمتا ممالكها فكانت سورية ومصر من نصيب نبو بلاصر البابلي غير ان هذا الفاتح تشاغل عن الديار الشامية والمصرية بمعارضة الماديين حتى انس السوريون بضعفه فدأوا للمصريين وقام فرعون نخبو فاستقل ببلاده وحمل على سورية وفتح اشدود وخلفه نخبو الثاني « وهو الذي ارسل بعثة فينيقية استدارت سفانها بالقارة الافريقية » فزحف على ديار الشام وبعد ان كسر ملك يهوذا وقتله عند مجدو هتأبأ له على ولائه لاشور استأنف السير الى فينيقية فرحب الفينيقيون به ومدّوه برجالهم ووصل في غزوته هذه الى الفرات الا انه ما كاد يستتب الامر لمصر في الديار السورية حتى زحف عليها بنو خد نصر « بمختصر » وهزم

المصريين واجلاهم عنها ووطد سلطته فيها . وما عثم المصريون  
ان اخلوا البلاد حتى عادوا الى دسّ الدسائس فيها وحرصوا  
اليهود على خلع نير بابل فزحف نبوخذ ناصر عليهم وكسره  
ثم اعاد الكرة على فلسطين وسبي منهم عدداً عظيماً الى بابل  
ولما وقع النفور بين مادي وبابل واضطربت المملكتان  
حين حفرع خليفة نبحو فرعون مصر الفرصة وعاد ينازع  
بابل السيادة على سوريا واتفق مع بعض ملوك فينيقية ويهوذا  
وعمون وموآب على خلع نيرها وزحف على صيدا وافتتحها  
واستخدم اسطول صور لافتح قبرس وسائر المدن الفينيقية  
فدهمه الفاتح البابلي وكسره تحت اسوار اورشليم وافتتحها  
وجلا ملكها صدقيا الى بابل ثم حاصر صور ثلاثة عشر سنة  
فمجز عن فتحها ثم اعاد الكرة عليها في اواخر القرن السادس  
فتم له فتحها ودمرها . اما فرعون فكان قد تاهب لانجاد  
صور ولكنه ما كاد يفرغ من اعداد معدات النجدة حتى  
كانت وقعت في ايدي الكلدان وخيل الى صور ان مصر  
احجمت عن مساعدتها عمداً خوفاً من الفاتح البابلي فانغاظ  
اهلها ولذلك لما همت عمارة مصر بأارة الفينيقين ضد الكلدان

لم تتردد صور في نصرة البابليين على مصر . وعندى ان  
 الفينيقيين كانوا لم يزالوا على ولاء مصر ولكنهم لم يتجرأوا  
 على ممالأتها ضد بختنصر خوفاً من ان يحل بهم ما حل  
 بالصوريين فانقلبوا على المصريين ولكن اسطول مصر ظفر  
 باسطولهم وافتتح صيدا و ارواد وغيرها من مدن فينيقية  
 الا ان ولاية مصر على سورية لم تستمر اكثر من اربعة سنين  
 فعاد بختنصر وافتتح سورية ومصر وانضمها لبابل

### عصر الفرس

وفي ولاية الفرس على سورية ظل شأن المصريين في  
 علاقاتهم بلوكها وشعوبها كما كان لعهد الاشوريين والبابليين  
 وكان الفرس يتخذون السوريين عوناً لهم على المصريين فلا  
 هم يجسرون على ممارضة فارس ومناصبها العدا ولا يسبهم  
 نبتد تقاليدهم الموروثة القاضية عليهم بموالاة المصريين  
 والانتصار لهم فكان موقفهم ازاء تنازع مصر وفارس مخفوفاً  
 بالمخاطر

ومن ذلك انه لما استولى قورش الفارسي على بابل دانت  
 له فينيقية فصادقها واستعان بها على المصريين فجهزت له

اسطولاً ضخماً لمحاربة مصر ثم خلفه على اخضاعها ابنه  
كبيرس . مستنجداً العهارة الفينيقية . وباتت السفن الفينيقية  
من اعظم قوى الدولة الفارسية تجري عليها الرتبات الضخمة  
وقد فازت بفتوحات كثيرة استعادت فيها مجد فينيقية وعظمتها  
وفي ايام ارتخشثا الاول كان الاسطول اليوناني يوالي  
غزواته لسواحل فينيقية انجاداً للمصريين على الفرس ولكن  
العامل الفارسي كسره ثم همت مصر باسترجاع سوريه فاستعدت  
الاسطول الفينيقي لصد غارة اسطولها فكفت عن التطاول  
وفي ايام ارتخشثا الثالث ثارت العمالات الفارسية فاختمس  
فرعون نكتانبو فرصة الاضطراب وزحف على فلسطين  
وكسر الفرس واستولى على بعض المدن ولما شاع خبر انكسار  
الفرس في حرب المصريين ثار ملوك قبرس وفينيقية وثبتت  
فينيقية على المقاومة واجلستها مصر بجيش من جندها بقيادة  
متور الرودي فرحف ملك الفرس على صيدا وافتتحها ثيلة  
بمساعدة زعيم جند مصر وبسقوط صيدا عادت فينيقية الى  
طاعة الفرس ثم زحف ارتخشثا على مصر لمعاقبها وافتتحها  
وضهها الى مملكته . وما زالت كذلك الى ان انتصر الاسكندر

المقدوني على داريوس « سنة ٣٣٤ » وقضى على سيادة الفرس  
في الديار الشامية والمصرية وضم سورية الى كيليكية وجعلها  
عمالة واحدة

### البطالسة والسلوقيون

وفي ايام البطالسة والسلوقيين خلفاء الاسكندر لم ينفك  
المصريون عن التدخل في شؤون سورية فتابعوا نفس الخطة  
التي جروا عليها في اعصر سلفائهم وكانت فلسطين من نصيب  
بطليموس صاحب مصر وتعاقب البطالسة عليها الى بدء القرن  
الثالث واما فينيقية فظلت تتنازعها ايدي القاطنين من هؤلاء  
الملوك الى وقت طويل فكانت تارة تقع في ايدي السلوقيين  
واخرى في ايدي البطالسة اصحاب مصر الى ان تسنى للرومان  
التدخل في شؤون سورية لالتجاء انبيال بطل قرطاجنه اليها  
وهو اله عدو لهم ولم يطل الزمن حتى وقعت الحرب بين الرومان  
والسوريين وانجلى عن فوز الرومان وفرضهم الجزية على ملك  
سورية وبعده حين عادت رومية الى التعرش بسورية واستقرتها  
الى مناصبتها المداة وفي اثناء ذلك كانت مصر تدس الاسائس  
في الديار الشامية اضمافا لها ليتسنى لها الاستيلاء عليها فاغرث

اسكندر بالا بالادعاء بالعرش السلوقي فظفر به ثم قام عليه  
ديتريوس نيقاتور وخلعه عن العرش بمساعدة مصر واساء  
التصرف مع الشعب فشبت ثورة في البلاد وبرز المسكليون  
فصالوا واتوا اعمالا عظيمة واستفلوا بالملك وتلا ذلك قيام  
تريفون على انطيوخوس الثامن وقتله به واستبداده بالدولة  
وحدوث اضطراب عظيم ادى الى اتقسام المملكة وتجزؤها  
وتخاذل امرائها وزعماء اقوامها والسياسة الرومانية متبعة مجراها  
ولما دخلت الدولة السلوقية في دور الاحتضار كان  
الضعف بلغ أشده من المملكة السورية فتحين الرومان الفرصة  
وجاء بومبايوس « سنة ٦٣ » وافتتحها وجعلها عمالة رومانية  
ولم يلبث ان اكتسح القطر المصري والحقه بالممالك الرومانية  
فكانت مصر وسورية في عصر الرومان شقيقتين تتقاسمان  
البلوى وتشكوان عبر الزمان على السواء

### العصر البيزنطي

واما في العصر البيزنطي فلم نجد في تاريخ مصر وسورية  
ما يشير الى اتحادها في امر خطير او تدخل احدهما في  
شؤون الاخرى بوجه من الوجوه الا ما ندر

ولما تقلص نفوذ بزنطية من سورية وافضت السلطة فيها الى العرب في القرن السابع للمسيح . عادت العلاقات فاستحكمت بين الديار الشامية والمصرية باتصال سيادة الفاتحين الى مصر على يد عمرو بن العاص . وقد كان عصر العرب في القطرين في ولاية بني امية وبني العباس عصر فلاح واقبال وان لم يخلُ من شوائب شوهدت شيئاً من محاسنه وبلغ الرقي الادبي العلمي في سوريا شأواً بعيداً في ايام هارون الرشيد اعظم خلفاء العباسيين وانتشرت المدارس في ولايته انتشاراً كبيراً ولا سيما في دمشق ورسخت آداب الفاتحين والعلوم التي تلقوها من علماء السريان واليونان في القطرين السوري والمصري وتأصلت عاداتهم واخلاقهم وتقاليدهم عند السوريين والمصريين وما زال هذا شأنها الى اليوم فانك ترى الى الآن في اخلاق الشعبين وعاداتهم وعلاقات الافراد احدهم بالآخر مسحة عربية بحتة تكاد لا تختلف في شيء عنها في ابان عصر العرب مع ان الدول الفاتحة التي تعاقبت على حكم البلادين بعد الفتح العربي ولا سيما الاتراك على اختلاف دولهم افرغت

جهدها في التمتع بجميع حقوق الفتح على اسلوب ينزع من  
البلادين طابعها العربي

ولما نقل مركز الخلافة الى بغداد . قامت في الديار  
السورية قنن شديدة تلتها ازمة متطاولة انجملت عن استقلال  
امراء البلاد وغزاتها بالحكم ولم يبق للخلافة رأي في شؤون  
بلادهم السياسية فكانوا يجاوزون مقامها بما لا يخرج عن الطاعة  
الاسمية واصبحت سورية من جراء هذا الانقلاب كريشة  
في هيب الريح تارة تغم الى مصر كولاية خاصة بها وطوراً  
يقوم على سكونها ملوك اكفاء يستقلون في شؤونها  
عصر الدول الثموية

وفي طليبة الفاتحين الذين اغتصبوا ولايتها اثر تلك الفتن  
احمد بن ابراهيم صاحب مصر الذي ظهر في القرن الثامن ثم  
ظهرت دولة الاخشيديين في القرن العاشر ثم دولة بني  
حمدان في الرحيل ثم دولة القرامطة فماتت في البلاد ثم قامت  
المنازعات بين امراء سورية وعمالها على السيادة فيها فتحين  
الروم الفرصة واسترجعوها ثم قامت دولة الفاطميين في  
مصر واستولت على ديار الشام وعادت العلاقات السياسية

بين مصر وسوريه الى ما كانت عليه في الاعصر السابقة وقام  
 الحاكم باصر الله بنشر دعوته في الديار الشاميه فنشبت في  
 البلاد ثورة فكرية تخللتها فتن شوهت صفحة الفاطميين في  
 ديار الشام . ثم قامت دولة السلاجقة في القرن الحادي عشر  
 فاكتسحت سوريه وعادت الفتن والمنازعات تترزقها  
 وظهرت دولة بني عقيل المرديين في الشمال ثم عصابات  
 السفاحين المعروفين بالاسميلة فعاثت في البلاد كثيراً  
 وانقسمت على يدها دولة السلاجقة الى قسمين قسم في حلب  
 وقسم في دمشق

### عصر الصليبيين

وفي عصر الصليبيين تجددت العلاقات بين مصر وسوريه  
 وحاول بعض ملوك الافرنج فتح مصر الى ان قام نور الدين  
 الزنكي صاحب دمشق ففتح مصر على يد قائده الناصر صلاح  
 الدين الايوبي الكردي في اواخر القرن الثاني عشر وقطع  
 دابر الفاطميين منها . ثم استبد صلاح الدين بالحكم وفتح  
 ديار الشام وواقع الافرنج وكسرهم في مواقع كثيرة وكان  
 اشد عدو خطراً على سلطتهم في المشرق

وفي اواسط القرن الثالث عشر ظهر اهل خوارزم وهم  
 من القبائل التي فرت من امام جنكزخان في زحفه على بلاد  
 الشام وفتحها واستقروا في شمالي سوريا بايعاز المصريين  
 لانجادهم حين الحاجة . ثم استفحل امرهم واجتاحوا الديار  
 السورية حتى بلغوا اورشليم وغلبوا الافرنج على امرهم  
 وحصروهم في منظمة ضيقة من بلاد الجنوب

### دول المماليك

تم قامت دولة المماليك البحرية او الكردية في منتصف  
 القرن الثالث عشر واستولت على مصر وسورية وقرضت  
 دولة الايوبيين وقامت في اثناء ذلك دولة التتر او المغول  
 فاستولت على سورية وطردت المماليك منها ثم عاد المماليك  
 فاسترجعوها على يد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس  
 البندقدار الذي دانت لصولجانه بلاد الشام بأسرها ثم استرجع  
 المغول سورية في آخر القرن الثالث عشر في ايام تيمورلنك  
 الذي غزا دمشق واجلى صناعاتها ولا سيما صناعات الاسلحة  
 الدمشقية المشهورة الى بلاده ثم قامت دولة الجراكسة المعروفة  
 بدولة المماليك البرجية على حكم مصر وسورية في اواخر

القرن الرابع عشر وظلتا في حوزتها الى الربع الاول من  
القرن السادس عشر حيث افضى تاج آل عثمان في الدولة  
التركية الى السلطان سليم الاول الفاتح المشهور فاكتمح  
القطرين السوري والمصري ولكنه ترك لامراء سورية  
شيئاً من الاستقلال وترك للمماليك في مصر بيكاتهم الابعة  
والعشرين واطلق عليها اسم سناجق مكتفياً بإبطال سيادتهم  
العليا في وادي النيل

### الفتح العثماني

وعلى الاجمال فان الفترة التي انقضت بين الفتح العربي  
والفتح العثماني في الديار المصرية والشامية نغصت عيش الشعبين  
المصري والسوري واوردتها موارد الحطة والبوار لما توالى  
عليهما في خلاهما من الذكبات التي صرفت الناس عن ارزاقهم  
الى الاحتيال على تخفيف عبء المظالم التي حلت بهم بالتزلف  
الى الحكام ووقف ما عن لديهم من شرف وروح ومال على  
مشيئتهم واهوائهم فكانت اكثر المصور المظلمة شؤماً  
على البلدين .

وقد ظهر الاتراك العثمانيون عند استيلائهم على ديار الشام

وبلاد العرب ومصر بمظهر الخلفاء الحقيقيين فاجروا العدل بين الناس واقاموا دعائم سلطنتهم في هاتيك الاصقاع على اساس الحلم والانصاف فاقالوا البلاد من عثرتها وانتشاوها من وهدة الخراب والانحطاط التي كانت دول الاكبراد والماليك والمغول رمت بها اليها لكنهم بعد اتقضاء زمن الفتح وانبساط رواق سلطنتهم في هاتيك الديار ظهر عجزهم عن مجاراة الخلفاء الاولين بفجار عمالهم في القطرين الشقيقتين وهم في شغل عنهم يتلاهون بهرجات الملك فرجما القهقري وحال اعتساف الحكام ووشايلتهم بعضهم ببعض وتحمسد الزعماء المحليين وتنابد رؤساء الطوائف وتنافرهم دون سدّ ثمتهم واصلاح ما فسد من امورها

وفي ايام السلطان سليم الثالث حمل نابوليون بوناپرت على مصر ثم اجتازها الى سورية سنة ١٧٩٩ فاختضع احمد الجزائر وفتح بعض مدن فلسطين ثم قفل راجعاً الى مصر ففرنسا وعاقده الاتراك على السلم  
ايراهيم باشا في سورية :

وفي ايام السلطان محمود « سنة ١٨٠٨ - ١٨٣٩ »

انفجرت الازمة السياسية في البلاد غير انه ما كاد يشعر  
الاهلون بشيء من اليسر والهناء ولا سيما في سورية حتى  
ظهر الوهابيون في جزيرة العرب وكان الحكم في مصر  
افضى الى محمد علي باشا بموافقة الدولة العثمانية وكان هذا  
الفاتح العظيم منذ تبوأ عرش الامارة المصرية يرمي الى التوسع  
في الملك وانشاء سلطنة واسعة تليق بعظمته فلم تر الدولة  
اقدر منه علي خضد شوكة الوهابيين فحقق ظننا به وقضى  
علي هوؤلاء القوم قضاء مبرماً وكان ان عبد الله باشا بن  
احمد الجزائر والي عكاه خرج عن طاعة الدولة فعهدت الدولة  
الى محمد علي بتأديبه واعادته الى طاعتها فارسل ابنه ابراهيم باشا  
الى عكاه سنة ١٨٣٢ فحاصرها وفتحها بمساعدة الامير بشير  
الشهابي الكبير حاكم لبنان مع رجاله اللبنانيين وكافأ صاحب  
مصر الامير الشهابي بان خوله حق تسمية الحكام المحليين في جميع  
مقاطعات سوريا . ولم يقصر الفاتح المصري عمله على اخضاع  
العاصي بل توغل بجنده في البلاد الشامية واستولى على دمشق  
وصادق اللبنانيين فكانوا له عوناً على الاتراك ردحاً من  
الزمن ثم انقلب فريق منهم عليه فقاتلهم وتوغل في بلادهم

وجرت له معهم عدة موفعات ثم سار الى حمص وبيلاز  
 وافتتحها وبعد سنة واحدة لاجتياز حدود مصر دخلت بلاد  
 الشام بأسرها في حيازته واقترت حكومة ابيه فيها واستأنف  
 السير الى الاستثناء لفتحها . فاشفقت اوربا من بطشه على  
 سلامة السلطنة واختلال التوازن الدولي فانفقت انكلترا والنمسا  
 وبروسيا وروسيا على اخراجه عنوة من ارض الدولة وبعد  
 ان امنت جانب فرنسا التي كانت تعضد امير مصر ارسلت  
 الى سوريا حملة مختلطة غلبته على امره وفي استيلاء الاميرال  
 بايه الانكليزي على حصن عكا تم جلاء الجند المصري عن  
 ديار الشام ورجوعها الى الدولة العثمانية بعد ان قامت مصر  
 على حكمها ثمانية سنين .

ولقد اشتهرت حكومة ابراهيم باشا في سورية بالعدل  
 والانصاف وما زال السوريون الى اليوم يتناقلون اخبار  
 هذا الفاتح العظيم ويتحدثون بما ظهر في بلادهم من آيات عدله  
 وشجاعته وصروته . وهم مجمعون على انه فاتح عظيم ومن اكبر  
 رجال القرن التاسع عشر

وبعد فتنة سنة ١٨٦٠ في لبنان وسوريا كان الضعف بلغ شأواً بعيداً بالبلاد الشامية فهاجر كثيرون من ابنائها الى الخارج التماساً للهناء والحرية وكان السوريون ادركوا ما يهدد بلادهم من الاخطار اذا ما تابعت الخطة التي جرت عليها الى ذلك الحين وكان ان اقبلت على البلاد الرسالات الاوربية اللدنية فانشأت مدارس كثيرة ونشط الاهلون من عقابهم ونسجوا على منوالها فاكثروا من دور العلم وما هي الا فترة من الزمن حتى غصت البلاد بالمتعلمين من ابنائها وقصد فريق كبير منهم الدار المصرية في مدات متقاطعة فخصتهم الاسرة البايوية الشريفة بالتفاتها الساي وقربت نوابهم ونشطت علماءهم وكتابهم فكانوا من اعظم دعائم الحركة الفكرية في وادي النيل ولم تدخر وسيلة لمساعدتهم على تقوية مراكزهم في هذه البلاد متقدمة بمؤسسها العظيم الذي كان اول من فكر في اتحاد السوريين ولا سيما اللبنانيين منهم عوناً لآخوانهم المصريين وشركاء لهم في تأسيس رقي البلاد المصرية على قاعدة تبادل المنفعة بين القطرين الشقيقتين . وهكذا انشأ

السوريون في هذه البلاد السميدة وحدثهم القومية ولم يمز عليهم روح من الزمن حتى باتوا قوة عظيمة فيها لا يستهان بها وعاشوا مع اخوانهم المصريين اشقاء متآزرين ولم ينسوا ما اغدقت عليهم الاسرة العلوية من آلائها فهم يذكرون ما لها عليهم من الفضل بالشكر العظيم .  
البرنس محمد علي والسوريون :

ولقد زاد الشعبان المصري والسوري تقرباً وائتلافاً وزاد السوريون اخلاصاً للعرش الخديوي العثماني وتعلقاً بسليل محمد علي الكبير بعد سياحة دولة الامير الخطير محمد علي باشا شقيق الجناب العالي في الديار السورية سنة ١٩١٠ واطهاره لهم الود والانعطاف في الليلة الخيرية التي اقيمت مؤخراً في الاوبرا الخديوية بعنائه وتحت رعايته لمساعدة منكوبي بيروت في ضربتها الاخيرة المؤلمة (١)

(١) مما تحسن الاشارة اليه على ذكر هذه الحفلة التي جمعت بعض امراء مصر ومعظم وزرائها ونخبة كبرائها وعلماؤها وادباؤها - ما بذلته اللجنة التي تألقت من نخبة رجال مصر لاحتياها تحت رعاية دولة الامير الخطير محمد علي باشا من المساعي الجليلة واطهرته من الغيرة الشديدة لجمعها من حفلات مصر النادرة المثال في كل وجه ومعنى حتى تاهز

ودولة الامير من اكثر امراء الشرق علماً وادباً  
وظرفاً وابعدهم هممة محب للادب والادباء والعلم والعلماء يعرف  
الرجل بصفاته ومكانته الادبية والعلمية لا بعلو قدره وضحامة  
ثروته وجنسيته فهو من هذا القبيل من اقدر امراء الشرق  
على تقدير قيمة الافراد والجماعات حق قدرها واشد كبار  
هذه البلاد استنكاراً لخطئة من يعملون على التفريق بين العناصر  
التي يتألف منها الشعب المصري . ونحن قد عرفنا بنفسنا انه  
ينزع خاصة الى جعل الصلات الحسنة مستحكمة الخلاقات  
بين الشعبين المصري والسوري وهو يعمل بارشاده وسعيه

دخلها اربعين الف فرنك .

وقد اظهر سعادة وطنينا المقدم سليم بك ايوب ثابت سكرتير  
اللجنة، من الوطنية الصادقة في ما ابدى من الحماسة والغيرة وعانى من المشاق  
في جهاده المتواصل تعضيداً لمساعي زملائه الكرام ما زاد اعجاب الناس  
به واوجب له الشكر الجميل من اخوانه السوريين . وكل ما كان يرمى  
اليه بذلك ان يظهر السوري ازاء ما شهدته من انعطاف مصر الى  
شقيقتها في مصابها الاخير بمظهر المقر بفضل البيت الخديوي العظيم  
على السوريين جميعاً ويمثل قومه السوريين لمعشر اخوانهم المصريين  
تمثيلاً صحيحاً دالاً على ان ما يحفظه كل منهم من الجميل لمصر وطنه  
الثاني هو نفس ما يحفظه منه لسوريا وطنه الاول .

على ازادتها احكاماً توصلاً لنفي كل سوء تفاهم من بينها  
 وربطاً لهما برباط اخاء صحيح لا انفصام له . ويعرف للبنانيين  
 خاصة نشاطهم وذكاءهم وكونهم اول حلقة من صلوات القربي  
 التي جردها مؤسس الاسرة العلوية العظيم بين القطرين  
 الشقيقين . ونزوعه الى العثمانية ورغبته في استئناسك العناصر  
 العثمانية بها وتساندها واتحادها تحت العلم العثماني ذلك امر  
 مشهور عنه لا نزاع فيه

وبينا نحن آخذون في طبع هذه النشرة اذا بالجنة تألفت في العاصمة  
 من كبار اخواننا المصريين تحت رعاية درلة الامير الجليل عمر باشا طوسن  
 لاجياء ثلاث ليال كبيرة تخفيفاً لويلات المنكوبين في حريق دمشق الاخير  
 فبامم السوريين جميعاً نمحض حضرة القائمين بهذه المأثرة الكبرى  
 من رجال مصر الكرام خالص الشكر ونحفظ لهم من اجلها اجل ذكر  
 واجابة لداعي الوطنية رأينا ان تقدم جانباً من نسخ هذه النشرة  
 الى هذه اللجنة لتضيف ما يجمعه من ثمنها الى دخل الحفلات التي  
 ستقيمها مساعدة للمنكوبين ونوزع ما يبقى منها مجاناً على حضرة ادباء  
 القطرين الشقيقين قياماً بوعدنا لاننا اعدناها للطبع ونحن عازمون على  
 اهدائها لهم بلا مقابل

ولئن كان اليوم سوريو اميركا يتأهبون لاستقباله هناك  
 في ارض كولومبوس استقبالا شائقا والاحتفاء به احتفاءهم  
 برجل عظيم فلانه قد هم جيلًا بالتفاته الى اخوانهم سوريي  
 مصر ومصادقته لهم - ومن اخص مميزات السوري  
 الاقرار بالجميل - ولان السوريين عن بكرة ايهم يعرفون  
 للاسرة العلوية فضلها عليهم ولا سيما على اللبنانيين فلا يريدون  
 ان ينزل سليل محمد علي الكبير ارضًا فيها سوري او لبناني  
 لا يظهر امامه بمظهر الودود المقر بالفضل له ولا سرته على  
 وطنه ومواطنيه .

والخلاصة ان هذا الامير الذي هو في اعتبار من يعرف  
 فضله وسمو منزلته في عالم الادب من نوابغ هذا العصر في  
 المشرق انشأ في تاريخ العلاقات بين مصر وسوريا العمانيتين  
 صفحة ذهبية جديدة لم تر الشقيقتان ابداع من آياتها ولا  
 اجمل من الدرر الغوالي المنظومة فيها منذ اقدم ازمنة التاريخ  
 الى اليوم .  
 بولس مسعد

اريل سنة ١٩١٢